من زاوية تربوية
لسانك سكر..

إعداد

أ.د/ خالد محمود محمد عرفان

أستاذ المناهج وطرق التدريس

وعميد كلية التربية (بنين) بالقاهرة – جامعة الأزهر

من زاوية تربوية

لسانك سكر..

تتردد على ألسنتنا كثيرا ؛ وهو تعبير يستخدم للدلالة على المرء الذي يتحدث بالكلمات الجميلة التي تلقى قبولا لدى الآخرين لما لها من أثر إيجابي في النفس، وهي في الحقيقة تعكس القاموس اللغوي الخاص الذي يتمتع به المرء، فالبعض قاموسه أبيض يجمع فيه كلمات جميلة تعجب الآخرين مثل : صباح الورد، صباح الجمال، مرحبا، شرفتنا، نورتنا، سلمت يمينك.. وغيرها من الألفاظ التي تبعث في النفس الأمل، وتحرك في القلب المشاعر الجميلة، وتكسب المستمع أو القارئ الثقة بالنفس، والشعور بالقبول والرضا عن الذات..؛ ويصبح الشخص صاحب القاموس الأبيض محببا إلى النفس، يلقى القبول والرضا بل يصبح مصدرا للأمل، ويضفي بكلماته الجمال على كل ما حوله، ويصبح ملكا للقلوب بلا عرش ولا مملكة، ليس بقوة السلاح ولا بالسطوة والسلطان وإنما بجمال الكلمات وروعة التعبيرات التي تعمل في قلوب الناس واسماعهم عمل السحر، حقا "إن من البيان لسحرا".

وعلى الجانب الآخر هناك أناس أخرون هم أصحاب القاموس الأسود، الذي لا تجد بين دفتيه سوى كلمات بذيئة عبارة عن سباب وشتائم وكلمات كلها يأس وقنوت من رحمة الله، كافية بأن تعكر صفو بحر، وتهدم ما في قلوب الناس من أمل وطموح، فتحول أملهم يأسا، ونجاحهم فشلا، وتحيل النور إلى ظلام، وتجعل اليسر عسرا.

ولأهمية الكلمة في حياتنا فقد جعل الله – عز وجل- الإيمان كلمة، والكفر كلمة، الحرب كلمة، والسلام كلمة، الزواج كلمة والطلاق كلمة.. بل إن الكون كله قد قام بكلمة من الله وسوف ينتهي بكلمة من الله عز وجل.

إن تأثير الكلمة في النفوس تأثير متشعب، ينتقل من شخص لآخر، متخذا شكلا شجريا تشعبيا فالشخص ينقل أثر الكلمة إلى الشخص، والشخص ينقلها إلى اثنين .. وهكذ ؛ لذا ضرب الله مثلا للكلمة الطيبة بالشجرة بقوله تعالى: **"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ"** (ابراهيم: 24، 25) وأعظم هذه الكلمات هي كلمة التوحيد. وضرب مثلا بالكلمة الخبيثة بقوله تعالى:" **وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**" (ابراهيم : 26) واقبحها كلمة الكفر، إن هذا التصوير القرآني الرائع يوضح لنا عظم أثر الكلمة الطيبة واستمرارية أثرها الطيب في النفس، وكذلك أثر الكلمة الخبيثة السيء في النفس الذي قد لا يمحى مع الأيام.

ولعظم الكلمة عبر الله بها عن آياته ومعجزاته التي لا تنتهي ولا يمكن أن تحصى أو تعد، قال تعالى:" وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (لقمان: 27) وقال تعالى:" قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا " (الكهف: 109)

إن هذه الكلمات هي التي تكون القاموس اللغوي وعليه فإن المرء قد يدخل الجنة أو النار بناء على قاموسه اللغوي، قال رسول الله ﷺ: وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ على وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟" (رواه الترمذي) واذا كب المرء في الناس بقاموسه اللغوي الأسود فمن

البديهي أنه يدخل الجنة بقاموس اللغوي الأبيض، وماذا سنقرأ في كتابنا الا الكلمات التي سجلت وصورت جميع أفعالنا، قال تعالى:" اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا" (الإسراء: 14)

لقد ضرب لنا القرآن الكريم المثل الأعلى في استخدام القاموس اللغوي بفعالية في تربية النفوس، فها هو في مواقف الرضا الكثيرة يقول:" **لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**") الفتح : 18) وقوله تعالى: " **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**" (**الضحى:** 5) وقوله تعالى: " **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ..** " **(آل عمران: 110)** وغير ذلك من الكلمات المحفزة لعبادة نحو المزيد من الإنجاز. وفي مجال العتاب يقول الله لرسوله:" **وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى**" (عبس: 3).. وقال له: " **إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا**" (الإسراء : 75) وقوله تعالى: " **عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**" (التوبة: 43) .

ويمتد أثر الكلمة تربويا ونفسيا في جميع المواقف التربوية في الفصول والأندية والبيوت والمساجد والشوارع.. وفي جميع المواقف جدها وهزلها.

فكلمة لطلابك مثل : أحسنت.. يا بطل.. انت مذهل .. انت عبقري.. أنت مختلف .. أنت متميز.. ما أروعك. . وغيرها من الكلمات الطيبة تدعمه دعما لا محدود، وتطلق في داخله الطاقات الكامنة، وتكسبه الثقة بالنفس والدافعية لبذل المزيد من الجهد من أجل التعلم والحصول على المزيد من كلمات الإعجاب والتقدير من معلمه.

وكذلك المعلم يستخدم كلمات اللوم بحدود كي ينبه المخطئ إلى خطئه، ويشعره بعدم الرضا عما يفعل، وهذا يدفعه إلى الإقلاع عن التقصير أو السلوك السيء .. ولكن بحذر ودون مبالغة، وأن تأتي على سبيل العتاب لا التأنيب والعقاب مثل: أنا لست راضيا، لم تكن كذلك، لقد كنت الأفضل، ما الذي حدث لك.. وغير ذلك، فما لا يعالج بالمديح يعالج بالعتاب لا بالعقاب.

وكذلك الأمر في بيتك؛ فما أحوج الزوجة والأبناء إلى الكلمة الطيبة من رب الأسرة، وما أحوج رب الأسرة إلى الكلمة الطيبة من زوجته وأبنائه.

وكذلك القائد في الجيش والمدير في العمل عليه أن يحفز مرؤوسيه بالكلمات الجميلة باعتدال فكل ما زاد عن الحد ينقلب للضد، فتصبح إدارته فاعلة ومؤثرة، فتصبح إدارته إدارة بالحب.

وكذلك يحتاج الوالدان إلى الكلمة الطيبة من أبنائهما خاصة مع التقدم في السن، وحذرنا القرآن من الكلمة الخبيثة معهما وأقلها" أف"

إن المتصفح للقرآن الكريم يجد فيه الروعة في توظيف الكلمة في التعزيز بجانبيه الإيجابي والسلبي؛ مما جعله علاجا ناجعا في تقويم وتوجيه السلوك والانتقال به إلى الأفضل في جميع المجالات .

وإذا كان الطعام غذاء للجسد فإن الكلمة الطيبة غذاء للروح، فكما تتصدق على أخيك المؤمن بالصدقة من طعام وشراب لغذاء بدنه فكذلك تتصدق عليه بالكلمة الطيبة والابتسامة الصافية غذاء للروح ؛ عن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسول الله - ﷺ -: ((والكلمة الطيبة صدقة))؛ الحديث متفق عليه

والآن عليك أن تراجع قاموسك اللغوي اليومي في جميع مواقف حياتك، وعليك تنقيحه من أي كلمات ظلامية ؛ كي تصبح من أصحاب القواميس البيضاء الذين يحققون بها النجاح في الدنيا والنجاة في الآخرة.

عش كريما بين الناس والأمم .. واختر لنفسك قاموسا من الكلم

تصل فؤادا حبلا من مودتهم .. إن الفؤاد لحسن القول منسجم

وهكذا تتعامل مع الجميع برقي وذوق عال، يفتقدونك عندما تغيب، ويسعدون عندما تعود، ويستمعون إليك عندما تتحدث، ويستجيبون إليك عندما توجه في ود ومحبة، وكلما تحدثت معهم قالوا لك في عجب وحب: "**لسانك سكر**".

د/ خالد عرفان

عميد كلية التربية (بنين) بالقاهرة